جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية
المادة/ البلاغة علم المعاني
المرحلة: الثانية
ستاذ المادة: أ د. فرحان بدري

المحاضرة الثالثة:علم المعاني و نظرية النظم عند البلاغيين قبل الجرجاني

- **الجاحظ (توفي٢٥٥هـ) ونظرية النظم**

اهتم بفكرة النظم جاعلاً منها دليلاً على إعجاز القرآن الكريم، وقد ذكر في كتابه (البيان والتبيين) رأي بشر بن المعتمر(توفي٢١٠هـ) الذي يشير فيه الى النظم، وبنى عليه رايه في النظم.

وقد جاء في صحيفة بشر بن المعتمر قوله : فإذا وجدنا اللفظة لم تقع موقعها، ولم تقر الى قرارها، والى صفها من أماكنها المقسومة لها والقافية التي تحل في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها، وكانت قلقة في مكانها نافرة من موضعها، فلا تكرهها على اغتصاب الاماكن، والنزول في غير أوطانها.

فوضْعُ اللفظةِ في غير موقعها يؤدي الى فساد في الكلام وقلق ولابد اختيار الكلمة المناسبة في الموقع المناسب، بما يؤدي الى سلامة النظم.

وتحدث الجاحظ عن جزالة الالفاظ وفخامتها ورقتها وعذوبتها وخفتها وسهولتها، وعرض للحروف التي هي جوهر الالفاظ.

وقد اهتم باللفظ اهتمامه بالمعنى، وقد توهم بعضهم انه يميل الى جانب اللفظ، وانه يهمل المعنى. والحق انه عني بالمعنى والصورة الادبية، كما عُني باللفظ، وقوله: ((فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير))

- **المبرد (٢٨٦ هـ)**

رأى ان حسن النظم هو البلاغة قال (فحق البلاغة احاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة اختها، ومعاضدة شكلها)

- **ابو سعيد السيرافي (ت ٣٦٩هـ)**

تحدث عن معاني النحو قائلاً: ((أما معاني النحو فتستقيم به حركات اللفظ وسكناته وتبين وضعَ الحروف في مواضعها المقتضية لها وتبين تأليف الكلام

بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب في ذلك، وتبين الخطأ في ذلك وان زاغ شيء عن النعت فأنه لايخلو ان يكون سائغاً بالاستعمال النادر والتأويل البعيد، ومردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم.

- بعد ان وضع ابن المعتز (ت ٢٩٦) كتاب البديع وذكر فيه ما بنيت عليه البلاغة فيما بعد.
- جاء قدامة بن جعفر(ت ٣١٩) فزاد على ماذكره ابن المعتز من أنواع البديع.
- من بعد قدامة اخذت الدراسات البيانية في اتجاهين متقابلين،

– الاتجاه الاول خاصاً ببحوث أعجاز القران، ومن ابرز من توجهوا اليه الرماني. ثم كان الخطابي، ثم ابو بكر الباقلاني.

– الاتجاه الثاني كان عن البيان عامة. ولم يقصروه على الاعجاز. ومن ابرز كتب هذا الاتجاه (كتاب الصناعتين) لابي هلال العسكري، و (الوساطة بين المتنبي وخصومه) للجرجاني ، و(الموازنة) للآمدي، وغيرها.

- النظم في الاعجاز القرآني

النظم في مجال الدراسات القرآنية وجه من وجوه الاعجاز القرآني، لايختلف العلماء في الاشارة الى انه اوضح الوجوه التي تحدى القرآن بها الناس، حتى روي عن بعضهم انه قال: ليس الاعجاز المتحدّى به الا في النظم، لا في المفهوم، لان المفهوم لايمكن الاحاطة به،

- علي بن عيسى الرمّاني (ت–٣٨٤هـ)وضع رسالة (النكت في اعجاز القران) تحدث فيها عن البلاغة وقسمها عشرة اقسام.

– : يرى ان حسن البيان في الكلام على مراتب فأعلاها ماجمع أسباب الحُسْن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان وتتقبله النفس تقبل البرد، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة.

- الخطابي ت (٣٨٨هـ)

يرى ان القرآن ((انما صار معجزاً لانه جاء بافصح الالفاظ، في احسن نظوم التأليف مضمناً، اصح المعاني)). وهو يمر بالنظم في رسالته ((بيان اعجاز القرآن) دون ان يتلبث عنده وذلك حيث يشبهه بالرباط لعناصر الاداء الاخرى ن الالفاظ والمعاني، دون ان يورد الشواهد من الآيات.

- **وابو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)**

يقول في احد فصول كتابه الصناعتين عن حسن النظم وحسن الرصف ان توضع الالفاظ في مواضعها، وتمكن في اماكنها ولايستعمل فيها التقديم والتأخير، والحذف والزيادة الا حذفاً لايفسد الكلام، ولايُعمي المعنى، وتضم كل لفظة الى شكلها، وتضاف الى لفضها، وسوء الرصف تقديم ماينبغي تأخيره، وصرفها عن وجودها وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها.

- **ابو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ)**

يرى ان سرّ اعجاز القرآن الكريم يكون بالقدرة الفائقة في نظم جزيئات الاداء في اللفظ والتركيب والصورة، وهو يذكر النظم بطريقة اقرب الى الدقة في قوله ان قال قائل: بيّنوا لنا ما الذي وقع التحدي به، أهو الحروف المنظومة؟ او الكلام القائم بالذات، او غير ذلك؟ وقيل: الذي تحداهم به ان يأتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن، منظومة كنظمها، متتابعة كتتابعها، مطردة كاطرادها... لان الاعجاز وقع في نظم الحروف التي هي دلالات وعبارات كلامه، والى مثل هذا النظم وقع التحدي)).

- **واصل بن عطاء و(المعتزلة) :**

المعتزلة هم فرقة من المتكلمين يخالفون اهل السنة في بعض المعتقدات وعلى رأسهم واصل بن عطاء الذي اعتزل باصحابه حلقة الحسن البصري، وقد بحث المعتزلة في مسألة اعجاز القرآن، فيقول بعضهم انه معجز بالصرفة، وبعض منهم قال بالنظم، والبعض الآخر بالغيبيات،

وكان ذك الخلاف في النظر في القرآن في وقت وصلت اللغة ذروتها في الشعر والادب.

- **القاضي الجرجاني (ت ٤١٥هـ)**

يرد على الجاحظ وامثاله الذين يرجعون اعجاز القرآن الكريم الى لفظه، ونجده يربط الفصاحة بالنظم فيقول ((ولذلك لايصح عندنا ان يكون اختصاص القرآن بطريقة في النظم ومن الفصاحة التي هي جزالة اللفظ وحسن المعنى، ومتى قال القائل: إني وان اعتبرت طريقة النظم فلابد من اعتبار المزيّة في الفصاحة فقد عاد الى ما أردنا)).

اذن فهذه طائفة من النقاد والبلاغيين فيمن تعرضوا لفكرة النظم من العرب وغيرهم قبل مجهود عبد القاهر الجرجاني، الا ان فكرة النظم فقد عرفت منذ القرن لثاني الهجري وعلى وفق ما اوردنا من آراء للعلماء، ولكن مفهوم هذه النظرية لم يكن واضحاً كل الوضوح، فكان كل من هؤلاء يعرض لها دون ان يوضحها، ويبين اسسها فجاء الجرجاني وأفاد من والاطلع على آرائهم وميز الحسن من الرديء وكون نظرية عرفت بأسمه وتأثر بمن جاء قبله من النقاد والبلاغيين من العرب وغيرهم وهذا يدل على ان نظرية النظم جهد انساني متواصل ولكن الجرجاني اكمله.

- النظم في فكر اللغويين
- النظم في اللغة : هو التأليف، وضم شيء الى شيء آخر، يقال نظمت اللؤلؤ نظماً ونظاماً، أي جمعته في السلك، والنظام ايضاً ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره، وليس لأمرهم نظام: أي ليس على هدى واستقامة.

ومن المجاز قولهم نظم الكلام، وهذا نظم حسن، وانتظم كلامه وأمره، وهكذا نرى ان المعنى اللغوي المشترك للنظم قريب من المعنى الاصطلاحي فهو ضم الشيء الى الشيء وتنسيقه على نسق واحد كحبات اللؤلؤ المنتظمة في سلك.

فنظرية النظم لم تنشأ فجأة، ولم تظهر الى الوجود من خلال باحث واحد فقد اسهم فيها علماء كثيرون، ومرّت في ظروف مختلفة الى ان استوت ناضجة لها معالم واضحة، ومنهج مستقر، ولهذه النظرية شبه كبير اليوم، بالدراسات الاسلوبية الحديثة، ولها امتداد تاريخي في عمق التراث العربي الاسلامي، حيث بدأ العلماء يبحثون في الوجه المعجز من القرآن الكريم، ولذلك نشهد بذور نشأتها وتكونها في الدراسات القرآنية، وبعد ان ظهرت ونضجت انتقلت الى الدراسات الادبية.

وتوزع (النظم) بين مفهومين:

– مفهوم (النوع او الجنس) في الشعر بالمعنى الادبي ، في مقابل النثر، ويراد به اليوم الرواية والمسرحية وغير ذلك.

– ومفهوم الضمّ والتأليف منها.

سيبويه: تحدث عن معنى النظم في مواضع مختلفة من كتابه، وما يؤدي الى حسن الكلام وقبحه، وبين اهمية تأليف العبارة. ويرى ان وضع الالفاظ في غير موضعها دليل قبح النظم وفساده. فيشير سيبويه الى اهمية النظم في تأليف الكلام فهو يتحدث عن مفهوم النظم مراعياً فيه احوال النحو، وهذا مانراه يعد هذا عند الجرجاني

- **عند اليونان**

نرى (أرسطو) يعقد فصلاً في كتابه (فن الشعر) يتحدث فيه عن اقسام الكلام، والفروق بين أقسامها، والمقاطع والحروف والاصوات التي رآها ضرورية في البلاغة ويتحدث في كتابه (الخطابة) عن مراعاة الروابط بين الجمل والاسلوب وحذف ادوات الوصل والتكرار.